حالا ، وأهدأ بالا ، وأكثر استعدادا للرقى ، وهل الأمة الا مجموعة من الاسر ؟ وهل رقى الامة الا حاصل جمع رقى الاسر ، وكما أن أسرة قد تكون اسعد من أسرة مع ان دخلها أقل وثروتها أضعف ، ولكن عقلها أكبر ، وتصريفها لمالها أدق ، فكذلك الأمم ليس خيرها أغناها ، ولكن خيرها من عرفت كيف تستخدم مالها وأحاطت املاكها بوسائل اجتماعية ، وكمية كبيرة من الاصلاح تجعل مالها يتضاعف فى القيمة وان لم يتضاعف فى العدد . فكم من الأمم لها ثروة كبيرة طبيعية ولكن لم تعرف كيف تستخدمها ولا حزا منها ، ولو حلت محلها أمة أخرى لصيرت صحراءها بستانا وجبالها جنانا ، ولجعلت ترابها ذهبا وأرضها عجبا

ومن أجل هذا لم يخطىء كثيراً من حسر مقياس رقى الامة فى مقدار تغلبها على طبيعة بلادها وتعديل نفسها حسب ما يحيط بها — لانها لا تصل الى ذلك الا بمقدار كبير من العلوم الطبيعية يمكنها من الانتفاع بارضها وجوها وبقدر وافر من العلوم الاقتصادية يبين لها كيف تستغل منابعها ، وبمقدار صالح من النظم السياسية والاجتماعية والاخلاقية يهيىء للافراد سبل الانتفاع بما حولهم ويعدهم خير اعداد للنظر فى مصالحهم .

فليتساءل الشرقى فى ضوء هذا : أين هو فى نفسه ، وأين هو فى أمته ، وأين أمته فى العالم ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الاولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير اجرة البريد فى مصر وبخمسين قرشا فى البلدان الأخرى

الحرب فى بلاد العرب

تطور الحوادث فى الجزيرة

وصداه فى الأفق الدولى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

أسفرت المعارك التى نشبت فى الاسبوعين الأخيرين فى هضاب عسير وتهامة بين القوات السعودية والقوات اليمانية عن نتائج خطيرة حاسمة فيما يظهر ؛ فقد استطاعت القوات السعودية أن تتوغل فى نجران وفى عسير بسرعة مدهشة ، وأن تستولى على منطقة واسعة فى شمال اليمن تشمل عسيراً ونجران وجميع الجهات والمواقع التى كانت موضع النزاع بين البلدين ، وأن تتقدم بعد ذلك فى أراضى اليمن ذاتها بمحاذاة البحر الأحمر حتى ثغر الحديدة ، وهو أهم الثغور اليمانية ، وأن تستولى عليه بعد أن فرت منه قوات الامام التى كان يقودها ولده وولى عهده سيف الاسلام . وقد كنا نؤمل حين كتبنا مقالنا الأول عن هـــذه الحرب التى تضطرم بها الجزيرة العربية ، أن يكون لصوت العالم العربى والاسلامى أثره فى تدارك هذا الخلاف الخطر ، وفى وقف المعارك قبل استفحالها . وقد رفع العالم الاسلامى صوته قوياً بمناشدة الزعيمين أن يتذرعا بالروية والحسنى فى حسم النزاع القائم بينهما ، وسافر الى مكة وفد عربى إسلامى يمثل عدة من الأمم العربية لتحقيق هذا المسعى . ولكن الظاهر أن سير الحوادث لم يفسح مجالا للتفاهم الحسن بين الملكين ؛ وقد كان جلالة ابن السعود يشترط لوقف القتال شروطاً يراها لازمة لسلامة حدوده وسلام مملكته ، وهى جلاء القوات اليمانية عن نجران ومواقعها الجبلية ، وإطلاق الرهائن ، وتسليم الادارسة ؛ ولكن سيادة الامام يحيى لبث حيناً يتردد بين القبول والاعتراض ؛ وحدث فى تلك الفترة أيضاً أن تقدمت القوات اليمانية فى نجران وعسير واحتلت مواقع جديدة ؛ وأيقن ابن السعود بعد طول المكاتبة والمفاوضة أن الامام لا يريد اتفاقا ولا يسلم بشىء من مطالبه . ويبدو من مراجعة الكتاب الرسمى الأخضر الذى أذاعه

الحكومة السعودية عن سير المفاوضات والمكاتبات بين الملكين أن ابن السعود تذرع بكثير من الروية والأناة فى محاولة إقناع الامام باحترام المعاهدات المعقودة والحالة الواقعة . وتدل وثائق الكتاب الأخضر أيضاً على أن عوامل التحريض كانت تعمل عملها فى عسير ونجران لدفع قبائلهما الى الثورة على عمال الحكومة السعودية وأصدقائها . إزاء هذه العوامل والظروف لم ير ابن السعود بدأ من الالتجاء إلى القوة المادية ؛ فزحفت القوات السعودية فى نجران وتهامة صوب الجنوب ، واستولت على جميع مواقعهما وانتهت كما تقدم بالاستيلاء على ثغر الحديدة ، وانهارت فى الحال كل التدابير التى اتخذها الامام للحرب والدفاع ، وأضحت اليمن تحت رحمة القوات السعودية التى تطوقها من الشمال والغرب .

وتطور الحرب بين ابن السعود والامام على هذا النحو يثير احتمالات ومسائل فى منتهى الخطورة ، سواء فى داخل الجزيرة العربية او خارجها ، ولاسيما اذا استمرت القوات السعودية فى زحفها على اليمن وانتهت بالاستيلاء عليها . ذلك أن ابن السعود الذى يسيطر على قلب الجزيرة العربية من الاحساء وعمان شرقا الى ساحل البحر الاحمر غربا ، ومن بادية العراق وشرق الاردن شمالا حتى الربع الخالى جنوبا ، يغدو باستيلائه على اليمن سيد الجزيرة المطلق ، والمسيطر على الساحل الشرقى للبحر الاحمر كله من العقبة حتى مضيق باب المندب . وقيام امبراطورية عربية قوية على هذا النحو تشمل نجدا والحجاز واليمن مما يثير اهتمام السياسة البريطانية ومخاوفها . وقد كان تقدم المملكة السعودية فى الاعوام الاخيرة موضع اهتمامها دائما . ذلك أن المملكة السعودية تجاور مناطق النفوذ البريطانى والاملاك البريطانية فى جميع انحاء الجزيرة العربية ؛ فهى تجاور عمان والكويت من الشرق ، والعراق وفلسطين وشرق الاردن من الشمال ، واذا تم ضم اليمن اليها ، فانها تجاور عدن وحضرموت من الجنوب . وعلائق ابن السعود مع بريطانيا العظمى ودية حسنة . وقد نظمت منذ سنة ١٩٢٢ بمعاهدة المحمرة ثم ببروتوكول العقير . بل إن علائق الصداقة بين ابن السعود وبريطانيا ترجع الى ما قبل عشرين عاما ، اعنى الى ما قبل الحرب الكبرى . وكان ابن السعود يومئذ اميرا محليا ، فرأى فى اتصاله بالسياسة البريطانية وسيلة لتحقيق مشروعاته ؛ وحالف بريطانيا العظمى على الترك ، ولزم الحياد أثناء الحرب رغم بعده

لها . وافتتح فى ذلك الحين منطقة شمر فى شمال نجد وانتزعها من يد خصمه ومنافسه ابن الرشيد ، وبدأت امارة نجد تتخذ مكانها واهميتها فى شئون الجزيرة العربية . وفى سنة ١٩٢٤ غزا ابن السعود الحجاز واستولى عليها من يد الحسين بن على ملكها يومئذ ، وامتدت حدود نجد حتى ساحل البحر الاحمر ، وقامت من ذلك الحين مملكة نجد والحجاز القوية ، واعترفت بقيامها الدول وفى مقدمتها بريطانيا العظمى . وكانت السياسة البريطانية خلال هذه المراحل كلها ترى فى ابن السعود صديقا لها ؛ ولم يشب هذه العلائق الودية شىء من الكدر الا فى سنة ١٩٢٨ إذ اغارت بعض القبائل النجدية على حدود العراق ، ونشب الخلاف بين الفريقين على مسألة مخافر الحدود ؛ ثم سوى الخلاف وعاد التفاهم بين الفريقين .

ولكن المملكة السعودية قد غدت فى الجزيرة العربية قوة يخشى بأسها ، وهى تدلل اليوم على قوتها مرة أخرى بذلك الغزو السريع لنجران وتهامة ، ثم شمال اليمن واستيلائها على ثغور جديدة على البحر الأحمر ، وقد لا تقف القوات السعودية فى زحفها حتى يتم استيلاؤها على بلاد اليمن كلها ، وتغدو اليمن كالحجاز ولاية جديدة فى المملكة السعودية الكبرى : واجتماع الأمم العربية داخل الجزيرة تحت هذا اللواء القوى يثير روحاً جديداً فى القضية العربية ويقوى فكرة الجامعة العربية ، ويحيى الآمال فى تحقيقها . والسياسة البريطانية لا تنظر إلى هذه التطورات بعين الارتياح لانها تزيد فى متاعبها حيثما تبسط سلطانها على أطراف الجزيرة العربية ، والسياسة الفرنسية التى تسهر على مصاير سوريا

تخشى أن يثير هذا الروح المعنوى الجديد فى الوطنية السورية قوة جديدة ، ويزيد فى متاعبها فى سوريا . هذا ومن جهة أخرى فان السياسة الايطالية ترقب تطور الحوادث فى اليمن بمنتهى الاهتمام والجزع أيضا . وللسياسة الايطالية فى اليمن مركز خاص ، ولايطاليا فى اليمن مطامع لا تخفى . وقد نظمت العلائق من سنة ١٩٢٨ بين الامام يحيى وايطاليا وعقدت بينهما معاهدة تجارية اقتصادية ، وأخذت ايطاليا من ذلك الحين تعمل بكل الوسائل على تقوية نفوذها فى اليمن ؛ والسياسة الايطالية لم تكن بعيدة عن موقف الامام فى الحوادث الأخيرة ولم تكن بعيدة عن شد أزره بالمال والرجال والذخائر فى الحرب التى ستنشب بينه وبين ابن السعود . ثم يجب ألا ننسى أن مستعمرة أريتريا الايطالية تقع تجاه اليمن على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، فاستيلاء ابن السعود على اليمن يقضى على مشاريع السياسة الايطالية فى اليمن ، ويجعل ساحل المستعمرة الايطالية عرضة لأخطار جديدة ، ويضع حدا للتوسع الايطالى فى تلك المنطقة .

والسياسة البريطانية تقف اليوم موقف التريث والانتظار ؛ ولكن فى اجتماع السفير الانكليزى فى جده بابن السعود ، حسبما نقلت الينا الانباء الاخيرة ، ومحادثته إياه فى الاحتمالات التى نشأت عن انتصار الجيوش السعودية ، وعما اذا كانت تنوى التقدم بعد فى قلب اليمن — فى ذلك ما ينم عن اهتمام السياسة البريطانية بتطور الحوادث على هذا النحو ؛ وربما عن قلقها أيضا . ذلك لأن اليمن تجاور منطقة عدن البريطانية وتشرف عليها من الشمال والغرب ؛ ولعدن أهمية حربية خاصة فهى مفتاح باب البحر الاحمر من الجنوب ، ومفترق الطريق الامبراطورى البحرى الى الهند والشرق الاقصى ؛ فوقوع اليمن فى يد زعيم قوى كابن السعود قد يهدد مركز بريطانيا فى عدن ، أو فى بعض ولاياتها المحمية المجاورة لليمن ، وهى التى كانت منذ بعيد موضع خلاف بين الامام والانكليز ، ثم سوى منذ أشهر بمعاهدة الصداقة البريطانية اليمنية . ومسألة المواصلات الامبراطورية من أدق مهام السياسة البريطانية .

***

بيد أنه إذا كانت السياسة البريطانية تقف موقف الانتظار والتحوط ازاء تطور الحوادث فى الجزيرة العربية . فليس هنالك على ما نعتقد ، ما يدعوها للتدخل المباشر فى سير هذه الحوادث . فعلائق ابن السعود وبريطانيا مازالت حسنة . والانكليز يثقون بابن السعود وصراحته وعهوده التى برهن فى فرص عديدة أنه يحترمها ويعمل على تنفيذها ، ولا نعتقد أن ابن السعود يفكر فى الوقت الحاضر على الاقل فى الاقدام على مناوأة سياسة بريطانيا أو مصالحها فى أية منطقة من المناطق التى تسيطر عليها فى أطراف الجزيرة ، لأن ابن السعود يحرص دائما على صداقة بريطانيا . وربما كان الانكليز يؤثرون دخول اليمن فى طاعة ابن السعود ، ويؤثرون سياسته القائمة على الحزم والصراحة وحسن التقدير ، على سياسة رجل كالامام يلقون من صلابته وتردده وعدم اعتباره بالحقائق الواقعة كثيرا من المتاعب فى عدن وولاياتها المشمولة بالحماية البريطانية . هذا الى أن ابن السعود قد صرح على لسان ممثله فى لندن أن يحترم الحقوق القائمة والمعاهدات المعقودة ويبذل وسعه لحماية أرواح الاجانب ومصالحهم فى البلاد التى تفتحها جيوشه ، ولا ريب أنه فى حالة استيلائه على اليمن سيحترم نصوص المعاهدة اليمنية البريطانية الأخيرة ، وسيحترم الحالة القائمة فى ولايات عدن المحمية ؛ ومن جهة أخرى فانه لن يفوت الانكليز أن يغتنموا فرصة انشغال الامام بغزو أراضيه فيعملوا على توسيع احتلالهم لتلك الولايات بما يطابق خططهم التى لبث الامام طويلا يقف فى سبيلها .

ليس هنالك اذا ما يخشى وقوعه من جانب السياسة البريطانية للتأثير فى مجرى الحوادث الحاضرة فى جزيرة العرب . وهذا ما تؤيده التصريحات الرسمية التى ادلى بها السير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم فى شأن حوادث الجزيرة العربية ، فهو يؤكد فيها أن بريطانيا العظمى ستقف ازاء هذه الحوادث موقف الحياد الدقيق وأن اجتماع السفير البريطانى بابن السعود لم يكن يقصد به الا التأكد من حماية المصالح البريطانية والرعايا البريطانيين فى الجهات التى تفتحها القوات السعودية . وهذا ما تؤيده أيضا الصحف الانكليزية وأقوال الكتاب السياسيين وتنويههم بحزم ابن السعود ومقدرته وصداقته لبريطانيا العظمى

أما السياسة الايطالية فهى على العكس تخشى تطورات الحوادث الحاضرة وترى فيها خطرا على مشاريعها ومصالحها حسبما بينا . وقد كان الامام صديق السياسة الايطالية ، وكانت ايطاليا تتمتع فى اليمن بمركز خاص تعلق عليه اهمية كبيرة لتنفيذ مشاريعها فى بلاد العرب ، فسقوط اليمن فى يد ابن السعود يقضى على هذه الآمال والمشاريع ، وقد ارسلت ايطاليا كما ارسلت انكلترا بعض

بوارجها الى مياه اليمن لحماية مصالحها . ولكن هل تذهب ايطاليا الى أبعد من ذلك فتحاول التدخل المباشر في سير الحوادث في اليمن ؟ من المعروف ان ايطاليا كانت تمد الامام بالاسلحة والذخائر والضباط الفنيين ، ولكن استيلاء القوات السعودية على الحديدة وساحل اليمن كله تقريبا يقفل هذا الباب في وجه ايطاليا ويقطع هذا العون عن الامام . ولسنا نعتقد ان إيطاليا تستطيع الاقدام على مثل هذه المغامرة في الظرف الحاضر ، فتحاول الدفاع عن اليمن والاشتباك مع القوات السعودية الغازية في حرب لا تؤمن عواقبها ، اولا لأن بريطانيا العظمى لا تستطيع السكوت على مثل هذا التدخل ولابد ان تقاومه بكل قواها ، وليس من اليسير ان تقدم ايطاليا على تحدى بريطانيا العظمى في مثل هذه الظروف التي يفيض فيها الأفق الدولي بالمشاكل الخطيرة ، وثانيا لأن ايطاليا تعلم من تجاربها القاسية في طرابلس ، ان الاعمال الحربية في الصحارى والهضاب ليست يسيرة على الجنود الاوربية ، وقد كانت هضاب اليمن مدى أجيال حصونا مغلقة في وجه الجيوش العثمانية المدربة على ارتياد الهضاب الوعرة ، ومن المرجح ان تلقى الجيوش السعودية ذاتها ، وهي جيوش الصحراء ، صعابا كبيرة قبل ان تستطيع الوصول الى صنعاء والاستيلاء على اليمن . واذا فكل مايمكن للسياسة الايطالية ان تقوم به في الوقت الحاضر ، هو أن تحاول المضي في خطتها من معاونة الامام بالاسلحة والذخائر والاموال

على أنه يبقى بعد ذلك كله ان نتساءل عما إذا كان ابن السعود يعتزم حقا ان يستولي على صنعاء وان يتم غزو اليمن . ان الجيوش السعودية تقف الآن عند الحديدة من جهة البحر ، وتطوق شمال اليمن ، وليس في الانباء الأخيرة ما يدل على انها ستتابع زحفها في الحال ، بل يرجح ان تنتظر حيناحتى تتم اهباتها وتقوى مؤخرتها وقديرى ابن السعود في تلك الاثناء ما يقنعه بالوقوف عند هـذا الحد من الظفر وارغام الامام على قبول شروطه ومطالبه ؛ وقد ينزل عند صوت العالم العربي والاسلامي فيقبل وقف الحرب والاتفاق مع الامام ، اذا رأى انه يستطيع بذلك اجتناء جميع الثمرات التي يخوله الظفر اجتناءها .

وسنرى في الاسابيع المقبلة ماتسفر عنه هذه التطورات الخطيرة في مصاير الجزيرة العربية .

محمد عبد الله عنان
المحامي

أقدم مكتبة في الشرق العربي

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها اكبر مجموعة للكتب الدينية والعربية

ترسل فهارسها لمن يطلبها ، ولها نشرات خاصة بالمطبوعات العصرية .

العنوان

مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر

صندوق برستة الغورية رقم ٧١